قواعد ومفاتيح
لفهم عقيدة أهل السنة
وما يضادها

تأليف

سَعِيْد بْنِ شَايَع بن مُحَمْد آل مُوْسَى

النشرة الأولى

جمادى الآخرة – ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة؛ وبعد:

فقد امتنَّ الله تعالى على هذه الأمة بكمال الدين وصلاحه لكل زمان ومكان ووضوحه لكل عاقل، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ وإن رسول الله ﷺ ما قبض إلا وقد تركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما ترك خيراً إلا ودلنا عليه، ولا شراً إلا وحذرنا منه، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيَّ عن بينة.وقد سار علماء السلف على منهج النبي ﷺ في توضيح العقيدة وتبيينها للناس؛ ومن هذا المنطلق أحببت أن أشارك ولو بالقليل لعل الله أن ينفع بها، وأدخل في هذه السلسلة المبارك، عسى الله أن يحشرني معهم فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم؛ فجمعت هذه المفاتيح والقواعد لفهم العقيدة والافتراق فيها وذلك لشدة الافتراق فيها بين الأمة؛ وقد أوضحت فيها ما يحتاجه طالب العلم عند دراستها واختلاف الناس فيها حتى يكون على تصور عام لها حسب ما يسر الله – تعالى – وأكثرها من كلام ابن تيمية رحمه الله لبراعته وسعة علمه، ولفهمه الفريد وكثرة مؤلفاته في هذا المجال.

نسأل الله أن ينفعنا بما قلنا وسمعنا، إنه على كل شيء قدير، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه

أبو عمر سعيد بن شايع آل موسى

مفاتيح وقواعد لفهم الأسماء والصفات

أقسام الناس في الأسماء والصفات:

١. **المثبتون**، وعرف بذلك أهل السنة والجماعة،وهم يثبتون لله من الأسماء و الصفات ما ثبت في الكتاب والسنة من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل،كما يليق بالله عز وجل على ظاهر النصوص.

قال شيخ الإسلام ﷺ:(يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله،وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث)(١) ونقل عن أحمد مثل ذلك.

ويثبتون لله الاسم وصفة التي يتضمنها وحكمه ومقتضاه، إذا كان يدل على صفة متعدية، مثال ذلك " السميع " فهو يتضمن إثبات " السميع " اسماً لله ـ تعالى ـ وإثبات " السمع " صفة له ، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه ، وهو أنه يسمع السر والنجوى ، كما قال ـ تعالى ـ : (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) [المجادلة : ١] .

وإذا كان لا يدل على صفة متعدية ،مثل اسم " الحي " فهو يتضمن إثبات اسم " الحي " لله ـ عز وجل ـ وإثبات " الحياة " صفة له. كما أثبت ذلك العلماء –رحمهم الله–

بيان لبعض ألفاظ التعريف:

(من غير تحريف): يحرم على المسلم تغيير معاني صفات الله عن ظاهرها، مثل تحريف معنى اليد إلى القدرة! وهذا تحريف للمعنى،وقد يكون للفظ،كتحريف إعراب قوله "وكلم الله"، من الرفع إلى النصب،فيكون المعنى على تحريفهم، وكلم اللهَ: أي موسى كلم الله ولم يكلمه الله(٢).

(ولا تكييف): يحرم على المسلم أن يسأل عن كيفية صفات الله؛ لأننا لا نعلمها، والصحابة لم يسألوا عنها، فالسؤال عنها بدعة، مثل قول: كيف يد الله؟ويحرم كذلك التكييف فيقول مثلاً: استوى على هيئة كذا أو ينزل إلى السماء على هيئة كذا. قال شيخ الإسلام ﷺ في كلامه عن الاستواء:(لم يخبرهم كيف ذلك، ولم تره العيون في الدنيا

& **للإعتراف لأهل الفضل بفضلهم الذي قام بتخريج الأحاديث والترتيب والفهارس الشيخ /ظافر بن جبعان فجزاه الله خيرا.**

(١) الفتاوى(٥/٢٦).

(٢) راجع الصواعق المرسلة(١/٢١٧).

فتصفه بما رأت، وحرَّم عليهم أن يقولوا عليه ما لا يعلمون؛ فآمنوا بخبره عن الاستواء، ثم ردوا علم كيف استوى إلى الله تعالى)[٣]. وذلك ينطبق على جميع صفات الله.

(ولا تمثيل): يحرم على المسلم أن يمثِّل الله بخلقه، فالله ليس كمثله شيء، مثل قول:عين الله مثل عين المخلوق.

(ولا تعطيل): يحرم على المسلم أن ينفي صفات الله أو معانيها فيقول سميعٌ لا يسمع، بصيرٌ لا يبصر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في كلامه عن صفات الله: (والأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبت الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه؛ وهو أن يثبت النزول والإتيان والمجيء، وينفي المثل والسمي و الكفء والند)[١].

٢. النفـاة وهـم المعطلـة، ومنهم من نفى الأسماء والصفات وهم الجهمية، فشبَّهوا الله بالمعدوم؛ ومنهم من نفى الصفات دون الأسماء وهم المعتزلة. ومنهم من أثبت الأسماء وسبع صفات وهم: الأشاعرة وحجة النفاة أن الإثبات يستلزم المماثلة للمخلوق. وبعضهم نفاها وحرَّف معناها عن الظاهر، فقال اليد: القوة أو النعمة، وقال الاستواء: الاستيلاء وليس المعنى الحقيقي. ومنهم من سلب عنه النقيضين وشبهه بالممتنع – لأنهما لا يمكن أن يجتمعان ولا يرتفعان– وهم الباطنية، مثل القرامطة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(ينفون عنه النقيضين فلا يقولون:موجود ولا لا موجود، ولا حي ولا لا حي، ولا عالم ولا لا عالم. قالوا: لأن وصفه بالإثبات تشبيه له بالموجودات، ووصفه بالنفي فيه تشبيه له بالمعدومات فآل بهم إغراقهم في نفي التشبيه إلى أن وصفوه بغاية التعطيل)[٢].

وأول من أظهر بدعة نفي الصفات الجعد ثم الجهم. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وبدعة القدرية حدثت قبل ذلك بعد موت معاوية، ولهذا تكلم فيهم ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ولم يكن الناس إذ ذاك أحدثوا شيئاً من نفي الصفات، إلى أن ظهر "الجعد بن درهم" وهو أولهم، فضحى به خالد بن عبدالله القسري، وقال:(أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً – تعالى الله عما يقول الجعد

---

(٣) الفتاوى (٥/٣١٦).

(١) الفتاوى(١٦/٤٢٤).

(٢) الفتاوى(٥/٣٢٧).

علواً كبيراً – ثم نزل فذبحه وهذا كان بالعراق ثم ظهر "جهم"[٣] من ناحية المشرق من ترمذ، ومنها ظهر رأي جهم...)[٤].

وقد يثبتون حكم الصفة ومقتضاها كما قال العلماء–رحمهم الله– "المعتزلة مثلاً يثبتون الاسم وينكرون الصفة ويثبتون الأثر مثل العلم فيثبتون أن الله يعلم مع أنهم لا يثبتون صفة العلم ".

٣. **المشبهة (الممثلة):** قالوا إن صفات الله مثل صفات المخلوق. وحجتهم أن التوافق في الأسماء يستلزم التوافق في الكيفية، فإذا كان لله سمع كان مثل سمع المخلوق. قال شيخ الإسلام ﷺ:(كل واحد من فريقي التعطل والتمثل:فهو جامع بين التعطيل و التمثيل..)[١]، لأن المعطل لم يقع في التعطيل إلا عندما شبه الله بخلقه،زعماً منه أن ذلك تنزيهاً.

ومعنى هذا التشبيه عندهم كما قال شيخ الإسلام ﷺ في ذكر من قال إن الله لحم كالمخلوق:(فمن قال بالتشبيه المتضمن هذا التجسيم فإنه يجعله من جنس غيره من الأجسام ،لكنه أكبر مقدارا ،وهذا باطل ظاهر البطلان شرعا وعقلا وهؤلاء هم المشبهة الذين ذمهم السلف، وقالوا المشبه الذي يقول بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي فإن هذا التشبيه هو في الجنس وإن كان المشبه أكبر مقدارا من المشبه به)[٢].

٤. **المفوضة:** وهم قالوا لا يعلم معنى صفات الله إلا هو، مع ردهم لمذهب أهل السنة، فيقولون: لا نعلم المراد من اليدين لله التي وردت في القرآن و ليس معناها الحقيقة.

قال شيخ الإسلام ﷺ عنهم:(يقولون: إن التأويل باطل، وأنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره ويحتجون بقوله تعال:﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾)[٣].

---

(٣) هو: ابن صفوان السمرقندي، قتله سلم بن أحوز.

(٤) الفتاوى(٨/٢٢٨).

(١) الفتاوى(٥/٢٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية(١/١٥).

(٣) الفتاوى(٣/٦٦).

أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته:

قـــال الله تعـــالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، ويُقصد بالملحدين: المائلين عن الحق، الذي يريده الله في الأسماء والصفات من اعتقاد أو عمل يترتب على ذلك.

وأشهر ما ذكر العلماء في أنواع الإلحاد، ما يأتي:

١- من الإلحاد: التعطيلُ، والتمثيلُ، والتكييف، والتفويض، والتحريف، كما سبق في تعريفها.

٢- أن يُسمي الله بما لم يُسمِّ به نفسه؛ لأن أسماء الله توقيفية، كتسمية النصارى له(أباً)، وتسمية الفلاسفة له (علة فاعلة)، أو تسميته: بـ(مهندس الكون)، أو (العقل المدبر)، أو غير ذلك.

٣- أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كاشتقاق اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز،ومناه من المنان.

٤- وصفه تعالى بما لا يليق به، وبما ينزه عنه، كقول اليهود:(بأن الله تَعِبَ من خلق السماوات والأرض، واستراح يوم السبت، أو قولهم: إن الله فقير. أو قولهم: يد الله مغلولة؛ تعالى الله عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً، كما سيأتي توضيح بعض ذلك إن شاء الله – تعالى –.

من قواعد أهل السنة في الأسماء والصفات، وبعض الأمور المهمة في العقيدة:

١- أسماء الله كلها حسنى بالغة في الحسن والكمال غايته. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

عرفها شيخ الإسلام بقوله:(الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها...)[١].

فاسم الدهر مثلاً ليس من أسماء الله؛ لأنه ليس من الأسماء الحسنى فهو جامد لا ينصرف، وإنما ورد في الحديث:« وَأَنَا الدَّهْرُ » لأن الله هو خالق الدهر ومصرفه كما ثبت في آخر الحديث:« أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » كما قرر ذلك العلماء[٢].

٢- أسماء الله تتضمن صفاتٍ كاملة،فمثلا العليم يتضمن صفة العلم. وليس كل صفة تتضمن اسماً، مثل الكلام فلا يقال المتكلم. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(أسماؤه تتضمن صفاته ليست أسماء أعلام محضة)[٣].

٣- أسماء الله أزلية أبدية مثل ذاته، فالعلم مثلا لم يسبق بجهل ولا يلحق بنسيان، والحياة الذاتية كاملة لم تسبق بعدم ولا تلحق بفناء.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:(إنه سبحانه مستحق في أزله لصفات الكمال لا وزر أن يكون شيء من الكمال الأزلي إلا وهو متصف به في أزله كالحياة والعلم والقدرة وغير ذلك)[٤].

٤- أسماء الله أعلام مترادفة باعتبار دلالتها على ذات الله سبحانه، و أوصافٌ متباينة باعتبار دلالتها على الصفات. فمثلا العليم و القدير مترادفان باعتبار دلالتهما على ذات الله، ومتباينان في المعنى فالعلم له معنى غير معنى القدرة. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فهي متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات)[٥].

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (١٩/١).

(٢) تكلم شيخ الإسلام عن هذا الحديث في الفتاوى الكبرى (٦٤/٥).

(٣) منهاج السنة (١٦٠/٢).

(٤) درء التعارض (٣٥١/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٨٣/١٣).

دلالة الأسماء علي الذات والصفات تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.فاسم الله الخالق يدل علي الذات بالمطابقة، ويدل علي الخلق بالتضمن، وعلى العلم والقدرة بالالتزام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فأسماؤه كلها متفقه في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم) [(١)].

٥- **أسماء الله يجب الوقوف في إثباتها على الكتاب والسنة،** ولا مجال للعقل فيها؛ فمثلاً بعض الناس يطلق على الله اسم "الساتر" والصحيح "الستّير" لثبوته عن النبي ﷺ فقد جاء من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« إِنَّ اللَّهَ عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ »[(٢)].

وقد سبق قول شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف أسماء الله الحسنى:(وهي التي جاءت في الكتاب والسنة).

٦- **أسماء الله لا يعلم عددها إلا الله،** دَلَّ لذلك قول النبي ﷺ:« أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ »[(٣)].

أما حديث:« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلاَّ وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٤)] فلا يدل على الحصر؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(قال الخطابي وغيره: فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها وذلك يدل على أن قول:« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة، كما يقول القائل:"إن لي ألف درهم أعددتها للصدقة" وإن كان ماله أكثر من ذلك؛ والله في القرآن قال:﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾

---

(١) مجموع الفتاوى(١٨٥/٧).

(٢) أخرجه أحمد(٢٢٤/٤)، وأبو داود(٤٠١٢)، والنسائي(٤٠٦)، وصححه الألباني في الإرواء(٢٣٣٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد(٣٩١،٤٥٢/١)، وابن حبان في صحيحه(٢٥٣/٣)، والحاكم في المستدرك(٦٩٠/١)، والطبراني في المعجم الكبير(١٦٩/١٠)، وفي الدعاء(ص:٣١٥)، وأبو يعلى في مسنده(١٩٨/٩)، وابن أبي شيبة في المصنف(٤٠/٦)، والبيهقي في شعب الإيمان(١١٤/٣) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه؛ وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة(١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري(٢٧٣٦)، ومسلم(٦٩٨٦).

[الأعراف:١٨٠]، فأمر أن يدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً، ولم يقل: ليست أسماؤه الحسنى إلا تسعة وتسعين اسماً، والحديث قد سلم معناه، والله أعلم)(١).

-وإحصاؤها بحفظها، ودعاء الله بها، والعمل بما تدل عليه من عمل.

والأسماء التي أحصاها العلماء مما ورد في الكتاب والسنة تقريباً هي:(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الملِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المؤْمِنُ، المهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِئُ، المصَوِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، السَّمِيعُ، البَصِيرُ، الموْلَى، النَّصِيرُ، العَفُوُّ، القَدِيرُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيرُ، الوِتْرُ، الجَمِيلُ، الحَيِيُّ، السِّتِيرُ، الكَبِيرُ، المتَعَالُ، الوَاحِدُ، القَهَّارُ، الحَقُّ، المبِينُ، القَوِيُّ، المتِينُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، العَلِيُّ، العَظِيمُ، الشَّكُورُ، الحَلِيمُ، الوَاسِعُ، العَلِيمُ، التَّوابُ، الحَكِيمُ، الغَنِيُّ، الكَرِيمُ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، القَرِيبُ، المجيبُ، الغَفُورُ، الودودُ، الوَلِيُّ، الحَميدُ، الحَفيظُ، المجيدُ، الفَتَّاحُ، الشَّهيدُ، المقَدِّمُ، المؤخِّرُ، المليكُ، المقْتَدِرُ، المسَعِّرُ، القَابِضُ، البَاسِطُ، الرَّازِقُ، القَاهِرُ، الديَّانُ، الشَّاكِرُ، المنانُّ، القَادِرُ، الخَلاَّقُ، المالِكُ، الرَّزَّاقُ، الوَكيلُ، الرَّقيبُ، المحْسِنُ، الحَسيبُ، الشَّافِي، الرِّفيقُ، المعْطي، المقيتُ، السَّيِّدُ، الطَّيِّبُ، الحَكَمُ، الأَكْرَمُ، البَرُّ، الغَفَّارُ، الرَّءوفُ، الوَهَّابُ، الجَوَادُ، السُّبوحُ، الوَارِثُ، الرَّبُّ، الأعْلى، الإِلَهُ)(٢).

٧- **صفات الله كلها صفات كاملة على الإطلاق**، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وهي تليق به مثل العزة والرحمة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(الرَّبُّ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهُ يَمْتَنِعُ الْعَدَمُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلِأَنَّ صِفَاتِ الرَّبِّ اللَّازِمَةَ لَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ فَعَدَمُ شَيْءٍ مِنْهَا نَقْصٌ يَتَعَالَى اللَّهُ عَنْه) (٣).

وهناك صفات كمال بقيد لا يوصف بها على الإطلاق، مثل المكر والاستهزاء والخداع.

فالمكر: هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم؛ مثل أن يقال:(إن الله يمكر بمن مكر بعباده المؤمنين). ولا نقول لله "الماكر" على الإطلاق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (المكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي وكذلك الكيد، فإن كان ذلك الغير يستحق ذلك الشر كان مكرا حسنا، وإلا كان مكرا سيئا. بل إن كان ذلك الشر الواصل حقا لمظلوم كان ذلك المكر واجبا في

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٦).

(٢) وقد تكلم عنها شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/٣٣٩).

الشرع على الخلق وواجبا من الله بحكم الوعد إن لم يعف المستحق والله سبحانه إنما يمكر ويستهزئ بمن يستوجب ذلك فيأخذه من حيث لا يحتسب كما فعل ذلك الظالم بالمؤمنين)[١].

ومن الأسماء والصفات ما يكون كمالاً مع قرينه، مثل القابض الباسط والخافض الرافع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(إذا ذكر باسمه الخاص قرن بالخير كقوله في أسمائه الحسنى الضار النافع المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل فجمع بين الأسمين لما فيه من العموم والشمول الدال على وحدانيته وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء ولهذا لا يدعى بأحد الاسمين كالضار والنافع والخافض والرافع بل يذكران جميعا ولهذا كان كل نعمة منه فضلا وكل نقمة منه عدل) [٢].

وقال بعد ذكره لبعض هذا التقسيم (..فهذا أصل في التفريق بين ما ذكر من أسماء الله وصفاته مطلقا وما لا يذكر إلا مقيدا إما مقرونا بغيره وإما لمعارضة مبطل وصف الله بالباطل)[٣].

٨- **أفعال الله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها.** ولا يشتق منها اسماً، فمن أفعاله أنه ينزل إلى السماء الدنيا فلا يقال:"النازل"، ومنها المجيء و الإتيان و الأخذ فلا يقال "الآتي" بل يخبر عنه كما ورد عنه ﷺ انه قال:« يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ »[٤].

أوضح شيخ الإسلام رحمه الله أن الله لم يزل فاعلاً، لأن ذلك من الكمال ولا يخلو سبحانه من كماله[٥].

٩- صفات الله منها:

أ- ما جاء على وجه الإثبات (الثبوتية)، وتثبت على التفصيل مثل العلم والحياة، ومنها:

١- صفات ذاتية وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها مثل الرحمة والعلم.

٢- صفات فعلية وهي التي تتعلق بمشيئته وحكمته تعالى يفعلها متى شاء مثل النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣٠/٦).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢٨٥/٥).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١٠/٢).

(٤) أخرجه البخاري(١٠٩٤)، ومسلم(٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٢٨/١٨).

ب- **الصفات السلوبية**: وهي ما نفاه الله عن نفسه مع كمال الضد، و هي تكون على نفيٍ مجملٍ غالباً، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] لأن التفصيل في النفي يوهم بنقصٍ، إلا في حالات، منها نفي ما أدعاه في حقه الكاذبون مثل الولد أو دفع توهم نقص مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان:٣٨] قال شيخ الإسلام رحمه الله: (والأنبياء والرسل جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل والصابئة جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل)(١).

١٠- قد يصرح الله بالصفة مثل "العزة" أو تستخرج من الاسم مثل المغفرة من الغفور أو التصريح بفعل أوصفة دالة عليها مثل: الاستواء من قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢].

١١- ما لم يرد إثباته ولا نفيه من الألفاظ في الكتاب والسنة فيجب التوقف في لفظه، فلا نثبت ولا ننفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيه؛ أما معناه فيفصَّل فيه، فإن أُريد به حقٌ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به معنى لا يليق بالله وجب ردُّه، مثل: الله في جهة، نتوقف في لفظ الجهة، والمعنى إن أُريد أن الله في العلو بائنٌ من خلقه وهو فوق العالم فصحيح، وإن أريد أنه يحيط به شيءٌ من خلقه فباطل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (أئمة السنة كأحمد بن حنبل وغيره كانوا إذا ذكرت لهم أهل البدع الألفاظ المجملة: كلفظ الجسم والجوهر والحيّز ونحوها، لم يوافقهم لا على إطلاق الإثبات، ولا على إطلاق النفي، وأهل البدع بالعكس ابتدعوا ألفاظاً ومعاني، إما في النفي، وإما في الإثبات، وجعلوها الأصل المعقول المحكم، الذي يجب اعتقاده، والبناء عليه، ثم نظروا في الكتاب والسنة فما أمكنهم أن يتأولوه على قولهم تأولوه، وإلا قالوا هذا من الألفاظ المتشابهة المشكلة التي لا ندري ما أريد بها فجعلوا بدعهم أصلاً محكماً، وما جاء به الرسول فرعاً مشكلاً...) ثم قال رحمه الله: (فالواجب أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة أصلاً في جميع هذه الأمور، ثم يرد ما تكلم فيه الناس إلى ذلك، ويبين ما في الألفاظ المجملة من المعاني الموافقة للكتاب والسنة فتقبل، وما فيها من المعاني المخالفة للكتاب والسنة فترد)(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٧٩/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/٣٠٦-٣٠٧).

١٢- تأويل الصفات وتفسيرها كما ورد في الكتاب والسنة وفهم الصحابة والسلف الصالح (فلا تأويل عن الظاهر إلا بدليل من الكتاب والسنة). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:(بيان ما يقبل التأويل من الكلام وما لا يقبله؛ لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم وكان مراده لا يعلم إلا بكلامه، انقسم كلامه ثلاثة أقسام:

أحدها: ما هو نص في مراده لا يحتمل غيره.

الثاني: ما هو ظاهر في مراده وإن احتمل أن يريد غيره.

الثالث: ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد بل هو مجمل يحتاج إلى البيان.

فالأول: يستحيل دخول التأويل فيه، وتحميله التأويل كذب ظاهر على المتكلم وهذا شأن عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها كنصوص آيات الصفات والتوحيد..

(وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح؛ والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد؛ ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول فهو المقبول وما خالفه فهو المردود فالتأويل الباطل أنواع..)(١).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:(أهل البدع إنما دخل عليهم الداخل؛ لأنهم أعرضوا عن بيان الله ورسوله وصاروا يبنون دين الإسلام على مقدمات يظنون صحتها، إما في دلالة الألفاظ وإما في المعاني المعقولة، ولا يتأملون بيان الله ورسوله، ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين، ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم)(٢).

وقال:(والمنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه ومعرفة دلالته كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله...)(٣).

---

(١) الصواعق المرسلة (١/١٨١-٢٠١)؛ وذكر عشرة أنواع مع الأمثلة، فراجعه.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٨٨) بتصرف.

(٣) مجموع الفتاوى (١/٢٤٦).

أمثلة على هذه القاعدة:

١- في الحديث القدسي:« يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»[١]، فليس على ظاهره بنص الحديث.

٢- حديث: « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّها بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ »[٢]؛ هو على ظاهره ولكن لا يقتضي المماسة ولا الحلول؛ وكذلك قول الله ﷻ: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[الفتح:١٠].

٣- الاستواء على العرش، والاستواء: هو الارتفاع والعلو، وتعالى الله أن يقلّه أو يحيط به العرش وهو غنيٌ عنه، بل هو محيط بجميع مخلوقاته؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وهو سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا)[٣]؛ (أما معنى استوى إلى السماء: أي قصد وأقبل وعمد إلى خلق السماء)[٤].

٤- المعيّة العامة: من معانيها الإحاطة والعلم، وهي معيّة حقيقيّة وليس معناه الاختلاط والحلول، فهو معهم وهو مستوي على عرشه بائن من خلقه وله العلو المطلق، ولا منافاة، فقد يصدق هذا المعنى مع المخلوقين فتقول:(نسير ومعنا القمر)، مع أن الله ليس كمثله شيء، قال شيخ الإسلام رحمه الله:(ما ذكر في الكتاب والسنة – من قربه ومعيته – لا ينافي ما ذكر من علوّه وفوقيّته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته و هو عَليٌّ في دنوّه، قريبٌ في علوّه)[٥].

وقال:(قد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه. وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يخالف أحدٌ يُعتدُّ بقوله) ثم قال:(والمعية ليست في لغة العرب ولا شيء من القرآن يراد بها اختلاط أحد الذاتين بالأخرى)[٦].

٥- المعيّة الخاصة: النصرة والتأييد والحفظ. قال الله: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه:٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم(٢٥٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم(٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما –.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٩٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/٥٢٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/١٤٣).

(٦) مجموع الفتاوى (٥/٤٩٥-٤٩٧).

٦- حديث:« وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا»(١)، وهو على ظاهره أن الله يتقرب من عبده كيف يشاء مع علوّه، وقال آخرون: القرينة في الحديث تدل على أن المعنى مجازاة الله للعبد بأكمل من عمله؛ فالقرينة هي:« وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » فمعلوم أن التقرب إلى الله ليس بالمشي فقط، فقد يكون بالتسبيح أو الصدقة فهنا ليس على ظاهرها، وكذلك الهرولة(٢).

٧- قال تعالى:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] وكذلك قول الله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾ [الواقعة:٨٥]، فسَّر السلف القرب فيها بقرب الملائكة وهذا ليس صرفاً للنص عن ظاهره، لأنه ظاهرُ سياق الآيات وإضافة الله إليه لأن قربهم بأمره وهم جنوده ورسله. (٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في الآيتين السابقتين:(ليس المراد أن ذات البارئ جل وعلا قريبة من وريد العبد و من الميت، ولما ظنوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعيّة ولا حاجة إلى هذا، فإن المراد الملائكة في الآيتين، ولا يجوز أن يراد به مجرد العلم، فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال: إنه أقرب إليه من غيره لمجرد علمه به ولا بمجرد قدرته عليه، ولا يقال إن الله لما كان عالماً بوسوسته كان أقرب إليه من حبل الوريد، لأن حبل الوريد لا يعلم ما توسوس به النفس حتى يكون الله أقرب بعلمه منه، ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أن الله أخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه ثم قال:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] فأثبت العلم، وأثبت القرب وجعلهما شيئين، فلا يجعل أحدهما الآخر ومن ظن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله فهذا في غاية الضعف، وذلك أن الذين يقولون إنه في كل مكان (الجهمية والحلولية) أو أنه قريب من كل شيء بذاته، لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا إنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء)؛ ثم قال رحمه الله:(وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار، سواء كان العبد مؤمناً أو كافراً. وإما أن تكون ذات الرب في قلب كل أحد كافر أو مؤمن فهذا باطل، لم يقل أحد من سلف الأمة ولا نطق به كتاب ولا سنة بل الكتاب والسنة وإجماع السلف مع العقل يناقض ذلك)؛ وفرّق رحمه الله بين المعيّة والقرب:(وأن المعيّة خاصة للمؤمن وعامة لجميع الخلق، أما القرب فليس مثل لفظ المعيّة فليس في الكتاب

---

(١) أخرجه البخاري(٦٩٧٠)، ومسلم(٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) راجع مجموع الفتاوى (٥/٥١٠).

(٣) راجع مجموع الفتاوى (٥/٥٠٥-٥٠٧).

والسنة ولا وصف أحد من السلف الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان الرب تعالى بالقرب من كل شيء ولا قرب عام من كل موجود، مثل المعيّة بل قربه الذي في القرآن خاص لا عام كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] فهو سبحانه قريب ممن دعاه وتقرب إليه بالعبادة) [(١)].

٨- وكذلك قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٨] المراد قراءة جبريل. وكذلك قوله: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود:٧٤] المراد الملائكة. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(مثل هذا اللفظ إذا ذكره الله تعالى في كتابه دل على أن المراد أنه سبحانه يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة فإن صيغة (نحن) يقولها المتبوع المطاع العظيم الذي له جنوده يتبعون أمره وليس لأحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم، وهو خالقهم وربهم) [(٢)].

٩- وكذلك قول الله: ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر:١٤]، وقوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩] ظاهر الآيتين أن السفينة تجري وعين الله تراها وترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى عليه السلام تكون على عين الله يرعاه ويكلأه، وفيها إثبات العينين لله لا يغيب عنها شيء.

١٠- وكذلك قول الله: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧]، قال شيخ الإسلام رحمه الله:(لم يرد به أن فعل العبد هو فعل الله تعالى كما يقول أهل وحدة الوجود- فإن ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي أن يقال لكل أحد، حتى يقال للماشي: وما مشيت إذ مشيت ولكن الله مشى، وللكافر: ما كفرت إذ كفرت ولكن الله كفر، ولكن معنى الآية أن النبي ﷺ يوم بدر رماهم، ولم يكن في مقدرته أن يوصل الرمي إلى جميعهم، فالله تعالى أوصل ذلك الرمي إليهم بقدرته. يقول: وما أوصلت إذ حذفت ولكن الله أوصل، فالرمي الذي أثبته له ليس الرمي الذي نفاه عنه.. وكذلك يقال في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠]، لم يرد به أنك أنت الله، وإنما أراد أنك أنت رسول الله ومبلغ أمره ونهيه فمن بايعك فقد بايع الله، كما أن من أطاعك فقد أطاع الله) [(٣)].

فائدة:

(١) مجموع الفتاوى (٥/٤٩٣-٥٠٩) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٥٠٧).

(٣) مختصراً من الفتاوى(٢/٣٣١-٣٣٣).

نؤمن بنزول الله في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا مع علوِّه على خلقه و أن السماوات لا تظلِّه ولا تقلِّه، محيط بخلقه ولا يحيط به شيء؛ ونسكت كما سكت الصحابة فلا نقول هل خلا من العرش أم لا؟

وصوب شيخ الإسلام أنه لا يخلو فقال:(الصواب المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه، مع دنوِّه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزه عن ذلك)(١) ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ كلاماً نفيساً أنقل بعضاً منه ملخصاً:(النزول الإلهي لكل قوم هو مقدار ثلث ليلهم إلى طلوع فجرهم، فلو كان كما توهمه الجاهل من أنه يكون تحت العرش، وتكون فوقه السماء وتحته السماء، لكان هذا ممتنعاً من وجوه كثيرة منها: أنه لا يكون فوق العرش قط بل لا يزال تحته، ومنها أنه يجب على هذا التقدير أن يكون الزمان بقدر ما هو مرات كثيرة جداً ليقع كذلك، ومنها أنه مع دوام نزوله إلى سماء هؤلاء إلى طلوع فجرهم،أمكن مع ذلك أن يكون قد نزل على غيرهم أيضاً ممن ثلث ليلهم يخالف ثلث هؤلاء،في التقديم والتأخير، والطول والقصر فنزول الرب لا يكون من جنس نزول أجسام العباد، فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير، ويكون قدره لبعض الناس أكثر بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض، فيقرب إلى هذا الذي دعاه دون هذا الذي لم يدعه.

وجميع ما وصف به الرب عَزَّ وَجَلَّ نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص، وأما قربه مما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه، كالداعي والعابد وكقربه عشية عرفة، وهذا كما أن حسابه لعباده يوم القيامة يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة، وكل منهم يخلو به كما يخلو الرجل بالقمر ليلة البدر فيقرره بذنوبه، وذلك المحاسب لا يرى أنه يُحاسب غيره، قال رجل لابن عباس – رضي الله عنهما –:كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال:(كما يرزقهم في ساعة واحدة)، وذكر حديث:« قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِدَنِي عَبْدِي...»(٢)؛ ثم قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:(فهذا يقوله سبحانه وتعالى لكل مصلٍ قرأ الفاتحة فلو صلى الرجل ما صلى من الركعات قال له ذلك وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة مَنْ لا يحصى عدده إلا الله، وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا، كما يحاسبهم كذلك، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة، وكذلك سمعه لكلامهم

---

(١) مختصراً من الفتاوى(٥/٤١٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم(٣٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يسمع كلامهم كله مع اختلاف لغاتهم، وتفنن حاجاتهم، ويسمع دعاءهم سمع إجابة، ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحّين، ولا يؤوده خلقهم ورزقهم فكيف يؤوده العلم بذلك، أو سمع كلامهم، أو رؤية أفعالهم، أو إجابة دعائهم سبحانه وتعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧])[1].

فتبين من ذلك أن من ترك الشرع والتسليم له وأعمل عقله القاصر فيما لا يبلغه ويدركه يقع في الزيغ والضلال، ومصيبة من ضل في صفات الله أنهم شبهوه بالمخلوق فافترقوا؛ فمنهم مَن نفى وعطَّل، ومنهم من حرَّف النصوص عن ظاهرها الذي تدل عليه، ومنهم من شبهه بالمخلوق ولم يعقلوا قول الله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١].

فائدة: الأدلة التي تثبت أن الله في السماء عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

١- إما أن تكون معنى (في) على.

٢- وإما إن يراد بالسماء العلو.

فائدة: معنى الأيدي إذا أضيفت لله سبحانه في النصوص قال شيخ الإسلام رحمه الله في قوله تعالى:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥] قال:(لا يجوز أن يراد به القدرة،لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد ولا يجوز أن يراد به النعمة لأن نعم الله لا تحصى؛فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية؛ ولا يجوز أن يكون:(لما خلقت أنا) لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد فتكون إضافته إلى اليد إضافة له إلى الفعل كقوله:﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾[الحج:١٠]، وقوله:﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [آل عمران:١٨٢]، ومنه قوله:﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١].

(١) مختصراً من الفتاوى(٥/٤٧٥-٤٨٠).

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله لما خلقت بيدي فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه؛ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال فعلت هذا بيديك ويقال هذا فعلته يداك؛ لأن مجرد قوله فعلت كافٍ في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة، ولست تجد في كلام العرب ولا العجم – إن شاء الله تعالى– أن فصيحاً يقول فعلت هذا بيدي أو، فلان فعل هذا بيديه، إلا ويكون فعله بيديه حقيقة ولا يجوز أن يكون لا يد له أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها) ثم قال:(فإضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيديه يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه، وخلق هؤلاء بقوله كن فيكون، كما جاءت به الآثار، ومن ذلك أنهم إذا قالوا بيده الملك أو عملته يداك فهما شيئان: (أحدهما)إثبات اليد و(الثاني) إضافة الملك والعمل إليها والثاني يقع فيه التجوز كثيرا، أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة، ولا يقولون يد الهوى ولا يد الماء فهب أن قوله بيده الملك قد علم منه أن المراد بقدرته لكن لا يتجوز بذلك إلا لمن له يد حقيقة)(١).

١٣– **يصح استخدام قياس الأولى في حق الله،** وهو إذا كان هناك في المخلوق صفة كمال لا يطرأ عليها النقص بحال من الأحوال،. وإن كانت ضعيفة في المخلوق بما يناسب حاله . فالله أولى بها. بخلاف قياس الشمول الذي يستوي فيه جميع أفراده وكذلك القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع.وقد يكون المعنى فيهما متقاربان، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:(الفقهاء يستعملون في الفقه القياس الشمولي كما يستعمل في العقليات القياس التمثيلي وحقيقة أحدهما هو حقيقة الآخر)(٢).

وقال(" قياس الأولى " الذي كان يسلكه السلف اتباعا للقرآن : فيدل على أنه يثبت له من صفات الكمال التي لا نقص فيها أكمل مما علموه ثابتا لغيره مع التفاوت الذي لا يضبطه العقل كما لا يضبط التفاوت بين الخالق وبين المخلوق بل إذا كان العقل يدرك من التفاضل الذي بين مخلوق ومخلوق ما لا ينحصر قدره وهو يعلم أن فضل الله على كل مخلوق أعظم من فضل مخلوق على مخلوق كان هذا مما يبين له أن ما يثبت للرب أعظم من كل ما يثبت لكل ما سواه بما لا يدرك قدره..) الفتاوى ١٤٥/٩

وقال:(العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمول تستوي أفراده، فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يُمَثَّل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كليِّة تستوي

(١) مجموع الفتاوى (٣٦٥/٦–٣٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١٧/٩).

أفرادها. ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو تكافئها)[٣]؛ وقال:(يستعمل في حقه المثل الأعلى وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال، الخالق أولى به وكل ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزيه عنه)[٤].

مثال على استخدام النبي ﷺ لقياس الأولى في تنزيه الله تعالى، كقوله ﷺ:« مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ مُسْتَقْبِلَ رَبِّهِ فَيَتَنَخَّعُ أَمَامَهُ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ فَإِذَا تَنَخَّعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَنَخَّعْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَقُلْ هَكَذَا » فالله أولى بالتنزيه.

قال الحوالي (فقياس التمثيل: أن نلحق شيئاً بما يشبهه، لكن في قياس الشمول نلحق الشيء بما هو مثله تماماً، والجامع هو اسم مشترك أو كلي -كما يسمونه- يشمل هذا وهذا، فمثلاً: نقول زيد مثل علي، فهذا قياس شمول؛ لأن زيداً إنسانٌ وعلياً إنسانٌ، وكل إنسانٍ حيوانٌ ناطق .

والشيء الكلي: هو ما كان له إفراد مستوون في الحقيقة، مثل الإنسان، هذا يسمونه كلي؛ لأن له أفراداً متساوون في الحقيقة، فما أثبت لأحدهم يثبت للآخرين بجامع أن الكلي يشملهم، ولهذا يسمى قياس الشمول الكلي .

فالمناطقة "فلاسفة اليونان " -الذين استخدموا قواعد المنطق- يعتمدون في إثبات الصفات أو نفيها على قياس الشمول، فيقولون مثلاً: إذا قلنا: إن له يداً، فمعنى ذلك أن له جسماً، وإذا قلنا: إنه مستو على العرش أو يسأل عنه "بأين"، فمعنى هذا أنه جسم، وكل جسم هو جواهر وأعراض، إذاً فله جواهر وأعراض، فجعلوا حقيقة الله -سبحانه- فرداً من كلي معين يتخيلونه هم.

وهذا القدر هو أصل ضلالهم، فلا نستخدم في العلم الإلهي لا قياس التمثيل ولا قياس الشمول؛ لأنه تعالى ليس كمثله شيء، فالمثلية منفية عن الله سبحانه وتعالى فما هو الأصل الذي نقيس الله تعالى عليه ونلحقه به بجامع علةٍ بينهما؟! وما هو الكلي؟ وما هو الكلي الذي تستوي أفراده في الحقيقة بحيث نجعل الله -تبارك وتعالى- جزءاً أو واحداً من أفراده المتساويين في حقيقته المشتركة؟! نحن لا نعلم حقيقة الله سبحانه وتعالى حتى نجعل له حقيقة مشتركة، وذات تشترك مع غيرها من الذوات في كلي له حقيقة واحدة، بحيث نلحق هذا بهذا في الأحكام.)[١]

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٢٩٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/٣٠).

(1) شرح العقيدة الطحاوية له

١٤-**يصان الله سبحانه وتعالى عن الظنون الكاذبة والباطلة،** مع (الإثبات والنفي) كما في الكتاب والسنة.

أمثلة على هذه القاعدة:

١- نثبت أن الله سبحانه وتعالى يعجب كما ورد، والعجب إمَّا لخفاء الأسباب لهذا المتعجب للشيء المتعجب منه، وإما لخروج هذا الشيء عن نظائره وعما ينبغي أن يكون عليه. فلا يظن في الله الظن الأول لأنه باطلٌ في حق الله. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته)[1].

٢-وكذلك التردد، فلا يكون مثل المخلوق يتردد لجهل العواقب.

سُئل شيخ الإسلام عن التردد في قول النبي ﷺ:«وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[2]، فقال رحمه الله:(هذا حديث شريف، قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو أشرف حديث رُوي في صفة الأولياء، وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور، والله أعلم بالعواقب؛ وربما قال بعضهم: إن الله يعامل معاملة المتردد.

والتحقيق: أن كلام رسوله حق وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح للأمة منه، ولا أفصح ولا أحسن بياناً منه، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه أضل الناس، وأجهلهم وأسوأهم أدباً، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة، والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله) ثم قال رحمه الله:(والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مراداً للحق من وجه مكروهاً له من وجه، وهذا حقيقة التردد وهو: أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين)[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢٣/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) مختصراً راجع بقية كلامه رحمه الله في المسألة في الفتاوى(١٢٩/١٨-١٣٥).

وأن الله يستقبل المصلي ويكون أمامه، فلا يظن أن الله مخالطٌ أو حالٌّ في شيء من خلقه بل هو أمام المصلي مع علوِّه المطلق و إحاطته المطلقة لخلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

والله محيطٌ بخلقه، لا يظن أنه مستديرٌ عليهم وهم داخل ذاته بل له العلو المطلق وهو مباينٌ لخلقه مع قربه من عباده، وهو أكبر من كل شيء والأرض قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه، فهو محيطٌ بهم حقيقةً مع علوِّه وفوقيّته.

١٥-ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب الصفات، والصفات أوسع من باب الأسماء؛ فيجوز الإخبار عن الله بمعنى من المعاني لم يرد لفظه في الكتاب والسنة، بشرط أن يكون ذلك المعنى صحيحاً مستخرجاً من دلالة الكتاب والسنة مثل: اللهُ أزليٌّ أبديٌّ، فهو مستخرج من قوله:﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾،فهو خبرٌ صحيح عن الله.

أمَّا الأسماء والصفات فهي توقيفية كما سبق. والصفات أوسع لأن كل اسم يتضمن صفة وليس كل صفة تتضمن اسماً مثل الكلام فلا نقول:" المتكلم".

١٦ -المضاف إلى الله أعيان وأوصاف:

أ) الأعيان مثل:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[البقرة:١١٤]، إضافة المساجد إلى الله إضافة تشريف وخلق، وقد تكون إضافة خلقٍ إلى خالقه فقط مثل:﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾[لقمان:١١].

ب) مثال إضافة الأوصاف: مثل ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥]، إضافة اليدين إلى الله إضافة صفة لموصوف.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(إن كان المضاف إليه لا يقوم بنفسه، بل لا يكون إلا صفة كالعلم والقدرة والكلام والرضا والغضب فهذا لا يكون إلا إضافة صفة إليه فتكون قائمة به سبحانه، فإذا قيل: (أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك) فرضاه وسخطه قائم به، وكذلك عفوه وعقوبته. وأما أثر ذلك وهو ما يحصل للعبد من النعمة و اندفاع النقمة فذاك مخلوق منفصل عنه ليس صفة له، وقد يسمى هذا باسم ذاك كما في الحديث الصحيح: (يقول الله للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي) فالرحمة هنا عين قائمة بنفسها لا يمكن أن تكون صفة لغيرها. فهذا الفارق

بين ما يضاف إضافة وصف، وإضافة ملك)[1]وقال:(في باب المضافات إلى الله تعالى ضلت طائفتان: طائفة جعلت جميع المضافات إلى الله إضافة خلق وملك، كإضافة البيت والناقة إليه وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة.

وطائفة: بإزاء هؤلاء يجعلون جميع المضافات إليه إضافة صفة، ويقولون بقدم الروح فمنهم من يقول بقدم روح العبد لقوله:﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر:٢٩]، وهم من جنس النصارى الذين يقولون بأن روح عيسى من ذات الله تعالى.

وطائفة ثالثة: تقف في روح العبد: هل هي مخلوقة أم لا؟ وهم منتسبون إلى السنة والحديث من أصحاب الإمام أحمد.

والفرق بين البابين: أن المضاف إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائما به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب، وإن كان المضاف عينا قائمة بنفسها: كعيسى، وجبريل وأرواح بني آدم،امتنع أن تكون صفة لله تعالى؛ لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه من جهة كونه خلقها، وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم: سماء الله وأرض الله؛ ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عباد الله وجميع المال مال الله وجميع البيوت والنوق لله.

الثاني: أن يضاف إليه لما خصه الله به من معنى يحبه ويرضاه ويأمر به، كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره، وكما خص المساجد بأن يفعل فيها ما يحبه ويرضاه من العبادات، وأن تصان عن المباحات التي لم تشرع فيها؛ فضلا عن المكروهات وكما يقال عن مال الفيء والخمس: هو مال الله ورسوله؛ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه وهذه الإضافة العامة لا تتضمن إلا خلقه وربوبيته.

وكذلك كلماته نوعان: كلماته الدينية المتضمنة شرعه ودينه كالقرآن، وكلماته الكونية التي بها كون الكائنات وهي الكلمات التي كان النبي ﷺ يستعيذ بها في قوله:« أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ اللاَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ»؛ فإن كلماته التي بها كون المخلوقات لا يخرج عنها بر ولا فاجر بخلاف كلماته التي شرع بها دينه فإن الفجار عصوها كما عصاها إبليس ومن اتبعه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥٢/١٧).

(والله تعالى لا يضيف إليه من المخلوقات شيئاً إضافة تخصيص إلا لاختصاصه بأمر ويوجب الإضافة، وإلا فمجرد كونه مخلوقا ومملوكا لا يجب أن يخص بالإضافة)(١).

١٧-**أسماء الله وصفاته يَفْضُلُ بعضها بعضاً** ولا يقتضي تفضيلها نقصاً في المفضول، ولا ينافي أن كل صفات الله بالغة في الكمال غايته ونهايته، مثل:« إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي »(٢)؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقاً على هذا الحديث:(فوصف رحمته بأنها تغلب وتسبق غضبه، وهذا يدل على فضل رحمته على غضبه من جهة سبقها وغلبتها)(٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ »، فجعل العظمة كالإزار والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم صرح بلفظه، وتضمن ذلك التعظيم)(٤).

وقال رحمه الله بعدما قرر وقوع التفاضل في كلام الله وصفاته:(ومعلوم أنه ليس في الكتاب والسنة نص يمنع تفضيل بعض كلام الله على بعض، بل ولا يمنع تفاضل صفاته تعالى، بل ولا نقل هذا النفي عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أئمة المسلمين الذين لهم لسان صدق في الأمة بحيث جُعلوا أعلاماً للسنة وأئمة للأمة). إلى أن قال:(بل المنقول الثابت عنهم - أو عن كثير منهم - يدل على أنهم كانوا يرون تفاضل صفات الله تعالى)(٥).

وقال رحمه الله في الرد على من زعم أن النصوص التي تثبت التفاضل بين كلام الله أنه في الثواب لا في ذاتها:(فيقال لهؤلاء: ما ذكرتموه حجة عليكم مع ما فيه من مخالفة النص، وذلك أن كون الثواب على أحد القولين أو الفعلين أكثر منه على الثاني إنما كان لأنه في نفسه أفضل)(١).

١٨- **من الأسماء والصفات ما يفسّر بعضها بعضاً**، ولا يعني ذلك تماثلها من كل وجه، بل له سبحانه من كل صفة معنىً من معاني الكمال والجلال، مثل العليم قريبٌ من الخبير ولا يعني التماثل من كل وجه.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/٤) بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مجموع الفتاوى (٩١/١٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٣٥/١).

(٥) راجع المسألة في مجموع الفتاوى (١٧/٩-٧٣،٤٦-٧٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٦٩/١٧).

١٩-**أسماء الله وصفاته محكمة المعاني متشابهة الكيفيات،** ومعنى محكمة أي واضحة المعنى من ظاهر اللفظ، ومتشابهة الكيفيات أي لا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه. وقد يكون المتشابه هو الذي يفهم منه الجاهل معنىً باطلاً، والمحكم هو الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً حقاً يزيل ما في المتشابه من إشكال، فحُكمه: أن يُرَدَّ المتشابه إلى المحكم فيصبح محكماً في الجملة.

مثال: قال شيخ الإسلام رحمه الله:(إذا تمسك النصراني بقول الله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر:٧] ونحوه على تعدد الآلهة، كان المحكم كقوله ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [البقرة:١٦٣] ونحو ذلك مما لا يحتمل إلا معنىً واحداً يُزيل ما هنالك من الاشتباه)[٢].

وإن كان المراد من الجمع في الآية الأولى هو التعظيم لله تعالى. والله أعلم.

المؤمن منهيٌ عن اتباع المتشابه ومأمور أن يحذر ممن يتبع المتشابه حتى لا يكون ذلك سبباً في وقوعه في الضلال، ومأمورٌ أن يرد المتشابه إلى المحكم حتى يصبح كله محكماً، والحكمة في وجود المتشابه الابتلاء. في الصحيحين: (تلا رسول الله هـذه الآيـة:﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران:٧].

قال النبي ﷺ:« فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ »؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وصبيغ بن عسل التميمي إنما ضربه عمر لأنه قصد بإتباع المتشابه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و هؤلاء الذين عابهم الله في كتابه لأنهم جمعوا شيئين سوء القصد و الجهل فهم لا يفهمون معناه و يريدون أن يضربوا كتاب الله بعضه ببعض ليوقعوا بذلك الشبهة و الشك)[١].

وقال:(يجوز أن يقال في بعض الآيات إنه مشكل ومتشابه إذا ظن أنه يخالف غيره من الآيات المحكمة البينة، فإذا جاءت نصوص بينة محكمة بأمر، وجاء نص آخر يظن أن ظاهره يخالف ذلك يقال في هذا إنه يرد المتشابه إلى المحكم) ثم قال رحمه الله:(قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها، فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٦٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٤١٥).

عن معانيها، ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس إلا وفي القرآن بيان معناها، فإن القرآن جعله الله شفاءً لما في الصدور وبياناً للناس) هذا الكلام قاله شيخ الإسلام في معرض الرد على من اتخذ أصولاً عقلية وبنى عليها وجعل ما يخالفها من القرآن والسنة مشكلاً ومتشابهاً قال رحمه الله:(أما إذا نطق الكتاب والسنة بمعنى واحد لم يجز أن يجعل ما يضاد ذلك المعنى هو الأصل، ويجعل ما في القرآن والسنة مشكلاً متشابهاً فلا يقبل ما دل عليه)(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ في هذه الآية وصف الله القرآن كله بالمتشابه والمراد كما قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فالتشابه هنا: هو تماثل الكلام وتناسبه: بحيث يصدق بعضه بعضا، فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته؛ وإذا نهى عن شيء لم يأمر به في موضع آخر بل ينهى عنه أو عن نظيره أو عن ملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ؛ وكذلك إذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيض ذلك بل يخبر بثبوته أو ثبوت ملزوماته و إذا أخبر بنفي شيء لم يثبته بل ينفيه أو ينفي لوازمه)(٣).

٢٠-**قال بعض أهل السنة أن الله لا يخلف وعده ولكن قد يخلف وعيده**، وذلك من كمال رحمته وعفوه وكرمه فيتوعد على الذنب بالعقاب ثم يعفو سبحانه وتعالى، إلا في حق الكافر لأن الله جزم بلزومه واستثنى ذنبهم فلا يغفره لهم، وحكم ألا يدخلوا الجنة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، قال ابن القيم رحمه الله في كتاب حادي الأرواح:(وقد صرّح في كتابه أنه لا يُخلف وعده ولم يقل في موضع واحد أنه لا يُخلف وعيده)(٤).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله إن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده:(وهو سبحانه لا مبدل لكلماته؛ يبين ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٨-٢٩] فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم بالوعيد وقال:﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾ وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضا وأن وعيده لا يبدل، وهذا مما احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار، وقد تكلمنا عليهم في غير هذا الموضع؛ لكن هذه الآية تضعف جواب من يقول: إن إخلاف الوعيد جائز؛ فإن قوله:﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾بعد قوله:﴿ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم

(٢) مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٧).

(٣) التدمرية (٥٩/١).

(٤) (ص:٤٦٧) بتصرف.

﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده. لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها)(١).

وقال في موضع آخر:(والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك في موارد النزاع؛ فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما بين أن الصدقة يبطلها المن والأذى وأن الرياء يبطل العمل وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي في ذلك العمل بها لكن إلا ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة. وبهذا تبين أنا نشهد بأن:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠] الإطلاق والعموم ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه. يبين هذا أنه قد ثبت أن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال:« يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَعَنَ الْخَمْرَ وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَسَاقِيَهَا وَمُسْتَقِيَهَا ». وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمر – رضي الله عنهما –: أن رجلاً كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل فقال النبي ﷺ:« لاَ تَلْعَنُوه فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »؛ فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله وقد لعن شارب الخمر على العموم)(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٩٨/١٤).

(١) الكيلانية (١٠٣/١).

٢١-**كيفية الصفات والغيبيات لا مجال للعقل فيها**، فإنها لا تدرك ببداهة العقل ولا بالحواس وإنما يسلِّم المؤمن بها كما وردت في الكتاب والسنة، مع الإيمان التام أنها على حقيقتها؛ قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]؛﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، و لعل من الحكم العظيمة أن الله حكم أن الإنسان لا يدرك كيفية الغيبيات ليبتليه فإن آمن بالغيب،كان ذلك من أسباب دخول الجنة، قال في وصف المؤمنين: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾، [البقرة:٣]، وإن كان ذلك ممكناً لو أراد الله ، قال ﷺ:« فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ »(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(سائر السلف كابن الماجشون وأحمد بن حنبل وغيرهما يبينون أن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه فالكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله)(٣).

٢٢- قد يشترك الخالق مع المخلوق في الاسم والمعنى المطلق، فتقول الخالق حيٌ والمخلوق حيٌ، فاشتركوا في الحياة ومعنى الحياة المطلق، ولكن للخالق حياةٌ ذاتيةٌ كاملةٌ لم تُسبق بعدم ولاتُلحق بفناء، وللمخلوق حياةٌ تليق به مسبوقةً بعدم ويلحقها فناء -إلا ما استثنى الله من الفناء- تليق به من الضعف والفقر، وحياته مستمدة من الله وهو يقوم به سبحانه. ورد شيخ الإسلام على من قال:(إن قيل إن الشيء إذا شابه غيره من وجه جاز عليه ما يجوز عليه من ذلك الوجه ووجب له ما وجب له وامتنع عليه ما امتنع عليه.

قيل هب أن الأمر كذلك ولكن إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب سبحانه ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعا كما إذا قيل انه موجود حي عليم سميع بصير، وقد سمى بعض المخلوقات حيا سميعا عليماً بصيرًا، فإذا قيل يلزم أنه يجوز عليه ما يجوز على ذلك من جهة كونه موجودا حيا عليماً سميعاً بصيراً قيل لازم هذا القدر المشترك ليس ممتنعاً على الرب تعالى، فإن ذلك لا يقتضى حدوثا ولا إمكانًا ولا نقصاً ولا شيئاً مما ينافي صفات الربوبية)(١).

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٦٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٤/١٧).

(١) مجموع الفتاوى (٧٤/٣).

٢٣-**التأويل الممنوع في الصفات، صرف معناها الراجح الذي هو ظاهر النص إلى معنى مرجوح بلا دليل**، مثل قول أهل الضلال معنى اليد النعمة. ويستخدم العلماء التأويل بمعنى التفسير وبمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، مثل نعيم الجنة وعذاب النار، نعلم تأويله بمعنى تفسيره ولكن لا نعلم تأويله بمعنى حقيقته التي يؤول إليها بل علمها عند الله، كما في الحديث: « قَالَ اللَّهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِى الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنَ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنَ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٢)؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(وتفصيل ما اعد الله عز وجل لعباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل بل هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى)(٣).

وقال:(عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف، لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه)(٤)؛ ويقصد رحمه الله إذا تكلم عن تحريف أهل للضلال.

قال الله تعالى في ذم التحريف و أهله: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء:٤٦]، أما التأويل فمعانيه في القرآن كلها صحيحة كما سبق، وإنما اصطلح كثير ممن حرَّف النصوص عن ظاهرها الحق الراجح إلى معنى مرجوح؛ على تسمية ذلك تأويلاً. فاستخدمها كثير من علماء السنة في معرض الرد و المناقشة وقيدوه بالتأويل المذموم.

-معنى التأويل عند أهل التفسير: قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فأما قدماء المفسرين فلفظ "التأويل" و"التفسير" عندهم سواء كما يقول ابن جرير: القول في تأويل هذه الآية. أي تفسيرها. أما متأخرو المفسرين كالثعلبي فيفرقون بين التفسير والتأويل. قال: فمعنى التفسير هو التنوير، وكشف المغلق من المراد بلفظه، والتأويل: صرف الآية إلى معنى تحتمله يوافق ما قبلها وما بعدها)(٥).

٢٤-**قد يستخدم العلماء من أهل السنة بعض الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة في حق الله**، في معرض الرد والمناقشة لأهل الضلال في باب الأسماء والصفات والإخبار عن الله، وإن كانوا لا يثبتونها لله كاسم أو صفة، مثل "القديم" على تقدير عدم ثبوته، يعرفونه بأنه الذي لا أول لوجوده ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في التدمرية. ومثل "واجب الوجود لذاته" أي يستحيل عدمه، ووجوده من ذاته لا من غيره ولا يلحقه فناء وهو الله. ومثل: "ممكن الوجود"

---

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٧٢)، ومسلم(٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٨/٥).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦٥/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٦٧/١٧-٣٦٨).

أي المخلوق يقبل الوجود والعدم وسبق وجوده عدم ويلحقه فناء – إلا ما استثنى الله فناءه – ووجوده من غيره لا من ذاته (الله الذي أوجده).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى:﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦]:(يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيموتون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله)(١).

٢٥-**كثرة الاشتغال بأقوال أهل الكلام وطريقتهم في الاستدلال ودخولهم بعقولهم في كل شيء**، مع البعد عن طريقة الكتاب والسنة التي تدعو للتسليم لرب العالمين، **قد يوقع العبد في الحيرة والشك والضلال**، فنسأل الله العافية.وأصحاب محمد لم يعرفوا هذا؛وهم أبر الناس قلوبا وأحسنهم علما وعملا –رضي الله عنهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(إن أكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقترن بتعمقهم التكلف المذموم من المتكلمين والمتعبدين: وهو القول والعمل بلا علم وطلب ما لا يدرك. وأصحاب محمد كانوا – مع أنهم أكمل الناس علما نافعا وعملا صالحا – أقل الناس تكلفا يصدر عن أحدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة أو من المعارف ما يهدي الله بها أمة وهذا من منن الله على هذه الأمة. وتجد غيرهم يحشون الأوراق من التكلفات والشطحات ما هو من أعظم الفضول المبتدعة والآراء المخترعة لم يكن لهم في ذلك سلف إلا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين..)(٢).

٢٦-منزلة العقل في فهم نصوص الصفات، والغيبيات، وغيرها من الوحي:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، و به يكمل العلم، والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك، لكنه غريزة في النفس، وقوة فيها، بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دَرَكِها، وإن عُزِل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أموراً حيوانية، قد يكون فيها محبة، ووجد، وذوق، كما قد يحصل للبهيمة. والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دَرَكِه. لم تأت بما يُعلَم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياءٍ وجوازها، وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها

(١) تفسير ابن كثير (٣٤٩/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣٨/٤).

حقاً، وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدَّقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضَّل الله به بني آدم على غيرهم)[١].

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٣٨-٣٣٩).

مكانة أهل السنة بين الفرق:

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية:

١-(أهل السنة وسطٌ في باب الصفات بين أهل التعطيل و بين أهل التمثيل)؛ أهل السنة يثبتون بلا تمثيل وينفون بلا تعطيل، فيقولون مثلاً لله يدين ليست كيد المخلوق: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]؛ قال شيخ الإسلام عن أهل السنة:(فطريقهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ففي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾: رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾: رد للإلحاد والتعطيل)[1].

٢-(أهل السنة وسطٌ في باب أفعال الله بين القدريّة و بين الجبريّة)؛ فالجبرية قالوا الإنسان مجبور وليس له اختيار وأنَّ الله فاعلُ كل شيء وليس للإنسان كسبٌ حقيقيٌّ. والقدرية قالوا إنَّ العبد مستقلٌ بفعله وليس لله فيه مشيئة ولا قدرة، وأنَّ الله لا يخلق الشر إذ لو خلقه وعذَّب عليه يكون ذلك جوراً، ويلزم من كلامهم أن يكون في ملك الله ما لا يريده، ويلزم أن يكون للكون خالقَان كقول المجوس، ويلزم كذلك وصفه بالعجز تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

- وأهل السنة قالوا إنَّ للمخلوق إرادة لا تخرج عن إرادة الله، والله خالق أفعاله لأنها لا تصدر إلا عن إرادة والله خالقها.

فائدة: سبب الضلال عند الجبرية والقدرية: هو عدم التفريق بين الإرادة الكونية التي يلزم منها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وبين الإرادة الشرعية التي يلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه، مثل إسلام أبي جهل، فالله أراده شرعاً وهو محبوب له ولم يقع لأن الله لم يرده كوناً وقدراً، وإسلام أبي بكر رضي الله عنه: أراده الله شرعاً وقدراً فوقع؛ قال الله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]؛ وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير:٢٩][1].

---

(١) العقيدة التدمرية(٢/١).

(١) للمزيد راجع مجموع الفتاوى(٢/٤١١-٤١٢)؛ وأسباب رفع العقوبة(٢٦/١).

٣- وقال:(و في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية).

▪المرجئة غلوا في نصوص الرجاء فقالوا لا يضر مع الإيمان معصية، والناس يستوون في الإيمان عاصيهم ومحسنهم لأن الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص. والإيمان عند غلاتهم اعتراف بالقلب فقط. ومن قواعدهم:" لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة".وقد ذكرت في توضيح الطحاوية أقسامهم ، وشيئا من الرد عليهم.

▪والوعيدية من المعتزلة والخوارج قالوا صاحب الكبيرة إن لم يتب فهو مخلد في النار فغلبوا جانب الوعيد، وسلبوا من صاحب الكبيرة مسمى الإيمان، فقال الخوارج هو كافر في الدنيا، وقال المعتزلة في منزلة بين المنزلتين.

▪وأهل السنة أخذوا بنصوص الوعيد والرجاء فأصابوا الطريق المستقيم، وقالوا الناس يتفاوتون في الإيمان على حسب طاعتهم.

٤-وقال:(وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية).

▪الخوارج قالوا عن صاحب الكبيرة هو كافر يحل دمه وماله ولهذا خرجوا على الأئمة وكفروا الناس. والمعتزلة أخرجوه من مسمى الإيمان فقالوا في منزلة بين الإيمان والكفر واتفقوا جميعا أنه خالد في النار يوم القيامة.

▪المرجئة والجهمية قالوا هو مؤمن كامل الإيمان.

▪وأهل السنة قال هو مؤمن ناقص الإيمان،معرض للعقوبة في الآخرة ،ولكن لا يخلد في النار.

٥-وقال:(وسطٌ في أصحاب الرسول ﷺ بين الرافضة والخوارج).

▪الرافضة والوا أهل البيت وغلوا فيهم وسبوا جملة الصحابة وكفروهم، وقالوا من لم يُكفِّر من كفَّرنا من الصحابة لا تصح موالاته لأهل البيت؛ ولم يستثنوا من الصحابة إلا نفراً قليلاً ممن قالوا إنهم من أولياء آل البيت؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(أصل قول الرافضة: إن النبي ﷺ نصَّ على علي نصاً قاطعاً للعذر، وأنه إمامٌ معصوم ومن خالفه كفر، وإن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفراً قليلاً: إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين. وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا. وأكثرهم يكفِّر من خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفاراً، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردة أسوأ حالاً من مدائن المشركين والنصارى، ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين)[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٦).

وقال رحمه الله:(وأما لفظ (الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام، لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسُئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما، فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني فسمُوا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي و الزيدية يتولون زيداً وينسبون إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية) (٢).

▪ الخوارج ناصبوا العداء لآل البيت وكثير من الصحابة وكفروا علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(أصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب – وإن كانت متواترة – ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه لارتداده عندهم ما لا يستحلونه من الكافر الأصلي (٣).

▪ موقف أهل السنة من الفتن التي حصلت بين الصحابة: لا يخوضون فيما حصل بين الصحابة من القتال مع علمهم أنهم كلهم مجتهدون مثابون فمصيبهم له أجران ومخطئهم له أجر وخطأهم مغمور في بحر حسناتهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

قال شيخ الإسلام رحمه الله عن أهل السنة:(ويتبرءون من طريقة الروافض، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب، الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: أن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيّر عن وجهه، والصحيح منه: هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون)(٤).

مفاتيح وقواعد لفهم افتراق الناس في العقيدة .

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤-١٥٥).

١-ذكر شيخ الإسلام رحمه الله جملة طرق المخالفين للسلف فقال:(**فإن الخارجين عن طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ لهم في كلام الرسول ثلاث طرق: طريقة التخييل، وطريقة التأويل، وطريقة التجهيل.**

(فأهل التخييل): هم الفلاسفة والباطنية، الذين يقولون: إنه خيل أشياء لا حقيقة لها في الباطن، وخاصية النبوة عندهم التخييل.

(وطريقة التأويل): طريقة المتكلمين من الجهمية والمعتزلة وأتباعهم، يقولون: إن ما قاله له تأويلات تخالف ما دل عليه اللفظ، وما يفهم منه، وهو- وإن كان لم يبين مراده ولا بين الحق الذي يجب اعتقاده- فكان مقصوده: أن هذا يكون سبباً للبحث بالعقل، حتى يعلم الناس الحق بعقولهم، ويجتهدوا في تأويل ألفاظه إلى ما يوافق قولهم ليثابوا على ذلك، فلم يكن قصده لهم البيان والهداية، والإرشاد والتعليم، بل قصده التعمية والتلبيس، ولم يُعرفهم الحق حتى ينالوا الحق بعقولهم، ويعرفوا حينئذ أن كلامه لم يقصد به البيان، فيجعلون حالهم في العلم من عدمه خيراً من حالهم مع وجوده.

(وأما الصنف الثالث): الذين يقولون: إنهم أتباع السلف، فيقولون إنه لم يكن الرسول يعرف معنى ما أنزل عليه من هذه الآيات، ولا أصحابه يعلمون ذلك، بل لازم قولهم: أنه هو نفسه لم يكن يعرف معنى ما تكلم به من أحاديث الصفات، بل يتكلم بكلام لا يعرف معناه، والذين ينتحلون مذهب السلف يقولون: إنهم لم يكونوا يعرفون معاني النصوص، بل يقولون ذلك عن الرسول، وهذا القول من أبطل الأقوال، ومما يعتمدون عليه من ذلك ما فهموه من قوله تعالى:﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾، ويظنون أن التأويل هو المعنى الذي يسمونه تأويلاً، وهو مخالف للظاهر)(١).

٢-**أصول الفرق المخالفة لأهل السنة؛ وحكمها** ،قال شيخ الإسلام رحمه الله: (البدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة؛ مخالفتها للكتاب والسنة: كبدعة الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، فإن عبد الله بن المبارك، ويوسف بن أسباط، وغيرهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع. الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة) (٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:(سائر الثنتين وسبعين فرقة، من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن، لم يكن كافراً في الباطن، وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطؤه. ومن

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩٤/٤).

قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، إنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات)[1].

وقال أيضاً:(كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام. والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق للرسول ﷺ لا مخالف له لم يكن كافراً به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذَّب الرسول ﷺ)[2].

قال الحوالي:(وإن حكم هذه الفرق الثنتين والسبعين هو: ١-الضلال والبدع. ٢-الوعيد بالنار وعدم النجاة). منهج الأشاعرة(ص:٩٧) وإن كانوا في دائرة الإسلام في الجملة.

٣-الوصف الذي تشترك فيه البدع المخالفة للسنة، فقائلها لا بد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(أول البدع ظهوراً في الإسلام وأظهر ذماً في السنة والآثار: بدعة الحرورية. قال أحمد:(صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه... ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بها جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما:خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، وما ليس بحسنة حسنة)، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل فإنك لم تعدل.. وقوله:" اعدل " أمر له بما اعتقده حسنة من القسمة التي لا تصلح، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لا بد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة، ويحسن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنت السنة، وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأً في بعض المسائل، لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة والخوارج جوَّزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته، وإنما صدقوا فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف — بزعمهم – ظاهر القرآن. وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه؛ الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات. ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وإن دار الإسلام دار حرب ودارهم دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة، وجمهور المعتزلة،

(١) مجموع الفتاوى (٢١٨/٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠١/٣٥).

والجهمية، وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم. فهذا أصل البدع التي تثبت بنص سنة رسول الله وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً. فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم واستحلال دمائهم وأموالهم)[١].

٤-**من أعظم أسباب هداية أهل السنة للحق،** الأخذ بأدلة الشرع كلها وعدم تكلفهم ما لا علم لهم به؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فإذا افتقر العبد إلى الله ودعاه، وأدمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين: انفتح له طريق الهدى)[٢].

فمثلاً قول الله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل:٩٠]، فمن فسر السيئة بالشرك كان المراد بدخول النار التأبيد، ومن فسرها بأنها سيئة الموحد التي غلبت حسنته فهو الدخول بغير خلود، وبهذا يُعمل بالأدلة كلها[٣].

٥-**من أعظم أسباب ضلال الفرق، الأخذ بجانب من جوانب الأدلة وترك جوانب.** مثل المرجئة أخذوا أدلة الرجاء وتأولوا أدلة الوعيد، وكذلك تكلفهم ما لا علم لهم به، وتعمقهم الممقوت وتحريف الكلم عن مواضعه، مثل المعطِّلة والمشبِّهة في كيفية ومعاني الصفات. وتقديمهم العقل على النقل-(وإن كان العقل الصريح لا يمكن أن يخالف النقل الصحيح)- مثل فعل الأشاعرة في استخدام العقل في إثبات سبع صفات و نفي الباقي لأنها لا توافق العقل بزعمهم[٤].

٦-**لازم مذهب الإنسان ليس بمذهب له إذا لم يلتزمه،** لأن الإنسان يذهل، فقد يقول قولاً ولا يتأمل في ناتجه ولازمه، مثال: لازم مذهب النفاة أن الله معدوم، فلو ألزمناهم به لم يشك مسلمٌ في كفرهم وإلحادهم. قال شيخ الإسلام رحمه الله: فلازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يستلزمه صاحب المذهب)[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٧١-٧٤) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/١١٨).

(٣) راجع تفسير الإمام ابن كثير تفسير سورة النمل الآية:(٨٨،٨٩).

(٤) وقد ذكر محقق شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/٥٧-٦٥) د.أحمد بن سعد الغامدي في المقدمة أسباب عامة لضلالهم أذكرها جملةً:(١- الغلو. ٢- الرد على البدعة ببدعة مثلها أو أشد منها. ٣- المؤثرات الأجنبية. ٤- تحكيم العقل في القضايا الشرعية. ٥- تعريب كتب الفلسفة في عهد المأمون).

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٠٦).

٧-قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومما ينبغي أيضا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام : على درجات منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة . ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه ؛ فيكون محمودا فيما رده من الباطل وقاله من الحق ؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها ؛ ورد بالباطل باطلا بباطل أخف منه وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة .

ومثل هؤلاء إذا لم يجعلوا ما ابتدعوه قولا يفارقون به جماعة المسلمين ؛ يوالون عليه ويعادون ؛ كان من نوع الخطأ . والله سبحانه وتعالى يغفر للمؤمنين خطأهم في مثل ذلك . ولهذا وقع في مثل هذا كثير من سلف الأمة وأئمتها : لهم مقالات قالوها باجتهاد وهي تخالف ما ثبت في الكتاب والسنة ؛ بخلاف من والى موافقه وعادى مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات ؛ واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات .)الفتاوى٣/ ٣٤٨

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح الطحاوية:(**من خالف في الأصول فليس من أهل السنة، أما من خالف في تفصيلات الأصول فهو من أهل السنة لكنه مخطيء.** مثل من قال الله مستوي على عرشه ولكنه يخلو منه عند النزول. ومثل من أثبت الأصول وأنَّ الأسماء والصفات الواجب فيها الإثبات ولكن خالف في بعض الصفات فنفاها، يبقى من أهل السنة)[٢].

قال الشيخ سفر الحوالي في كتابه منهج الأشاعرة(ص:٩٣):(**لكل فرقةٍ أساسٌ منهجيٌ تتفق عليه طوائفها**، وترجع إليه أصولها وقواعدها، ومن خالف فيه خرج عن انتسابه لها ومن لم ينطبق عليه لم يدخل فيها، فمثلاً كل من قال أن الإنسان مجبورٌ فهو جبريٌ).

٨-من قال من الأئمة بما يخالف السنة عن اجتهاد، فلا يبدَّع بل يعتذر له. ومن قال بالبدعة بتعصب بعد وضوح الحجة فيبدَّع، فإنكار عائشة رضي الله عنها أن الأموات من صناديد قريش يوم بدرٍ لم يسمعوا حديث النبي ﷺ لهم، واحتجت بقول الله ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [النمل:٨٠]؛ فعلت ذلك – رضي الله عنها – عن اجتهاد واستدلال

(٢) راجع أشرطة شرح الطحاوية للشيخ.

لا عن تعصب واتباعٍ للهوى فهي معذورة؛ والجمع بين الآية والحديث: الآية عامة في أن النبي ﷺ لا يُسمع الموتى إلا ما استثناه الدليل مثل كلام النبيﷺ لكفار قريش في قليب بدر[٣].

٩-**أهل البدع يختلفون فمنهم متأولٌ مجتهدٌ وله نصرة للدين وحسنات،** وبعضهم داعيٌ للبدعة بقصدٍ وسوء نية فلا يستوون عند الله.قال شيخ الإسلام رحمه الله:(من كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق واخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان، سواءً كان في المسائل النظرية،أو العلمية.هذا الذي عليه أصحاب النبي ﷺ وجماهير الإسلام...) ثم قال رحمه الله:(وقد ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال« قَالَ رَجُلٌ: لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ» فهذا شك في قدرة الله وفي المعاد،بل ظن أنه لا يعود، وأنه لا يقدر الله عليه إذا فعل ذلك، وغفر الله له)[١].

وقال بعد ما بين أن الإيمان يزيد وينقص:(وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا)[٢].

قال الشيخ سفر الحوالي:(التأويل هو وضع الدليل في غير موضعه باجتهاد أو شبهة تنشأ من عدم فهم دلالة النص. وقد يكون المتأول مجتهداً مخطئاً فيعذر وقد يكون متعسفاً فلا يعذر، وعلى كل حال يجب الكشف عن حاله وتصحيح فهمه قبل الحكم عليه، وهذا كان مذهب السلف عدم تكفير المتأول حتى تقام عليه الحجة، مثلما حصل مع بعض الصحابة الذين شربوا الخمر في عهد عمر رضي الله عنه متأولين قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾[المائدة:٩٣].

(٣) للمزيد راجع مجموع الفتاوى (٦١/٦).

(١) مجموع الفتاوى (٣٤٦/٢٣-٣٤٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٩/٣).

ومثل هذا من أوَّل الصفات عن حسن نية متأولاً قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، فهو مأولٌ تأول ولا يَكْفُر، ولهذا لم يطلق السلف تكفير المخالفين في الصفات أو غيرها لأن بعضهم أو كثير منهم متأولون. أما الباطنية فلا شك في كفرهم لأن تأويلهم ليس له أي شبهة بل أرادوا هدم الإسلام عمداً بدليل أنهم لم يكتفوا بتأويل الأمور الإعتقادية بل أوَّلوا الأحكام العملية كالصلاة والصوم والحج)[٣].

وقال في موضع آخر:(أحكام الآخرة ومنازل الناس فيها خاضعة لأمر أحكم الحاكمين وأعدلهم، أما نحن في الدنيا مأمورون أن نحكم على كل منهج أو فرد بما حكم الله به عليه من غير إفراط ولا تفريط، ونتقيد بالضوابط التي جاءت في مذهب السلف)[٤].

١٠-أكثر الفرق التي وقعت في الضلال في أي جانب من جوانب الدين اتخذت التأويل الممقوت مطية لها، في رد النصوص التي تعارض معتقدها الباطل الذي جعلوه أصلاً وأولوا النصوص حتى توافقه. فالخوارج مثلاً أولوا النصوص التي تبين أن صاحب الكبيرة لا يزال عنده أصل الإيمان وإن كان فيه ضعف مثل:﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [الحجرات:٩]، وحديث أبي ذر ﷺ مرفوعاً: « أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي – أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي – أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ »، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى؟! وَإِنْ سَرَقَ؟! قَالَ:« وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»[١]. فيؤولوه حتى يوافق أصلهم وهو تكفير صاحب الكبيرة وأن الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص. فقلَّ أن تجدهم يكذبون النص ويجحدونه بعد ثبوته إلا بالتأويل.

أما أهل السنة فسلَّموا لما قال الله وقال رسوله وأخذوا دينهم من الكتاب والسنة وآمنوا بما تدل عليه النصوص على مراد الله ورسوله بلا تحريف. قال شيخ الإسلام ﷺ:(وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين: أما الأول فشبهة التأويل الفاسد أو القياس الفاسد...؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل لبعض أصحابه: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس)[٢].

---

(٣) منهج الأشاعرة (ص:٨٧).

(٤) المصدر السابق.

(١) أخرجه البخاري(١١٨٠)، ومسلم(١٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٧٤-٧٥).

وهو فعل أهل الكتاب من قبل،قال رحمه الله:(فإن ألفاظ التوراة و الإنجيل و سائر كتب الأنبياء وهي بضع وعشرون كتابا عند أهل الكتاب لا يمكنهم جحد ألفاظها لكن يحرفونها بالتأويل الباطل و يكتمون معانيها الصحيحة)(٣).

١١-من طرق الفرق الضالة في الأسماء والصفات التي يلبِّسون بها الحق بالباطل، ويوهمون أنهم على حق، وينفرون الناس من مذهب السلف رحمهم الله؛ استخدام الألفاظ المجملة(٢) الموهمة غير الواضحة. قال ابن باز-رحمه الله-: (وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق)(٣)

فيما يأتي نوضح بعضها والله المستعان:

الألفاظ المجملة: قد سبق أن أيّ لفظ لم يثبت في الكتاب والسنة فهو مردود، أما معناه فإن كان حق قُبل وإلا رُدَّ. نذكر بعض الأمثلة على هذه الألفاظ والرد عليها

دعوى التركيب: هي من الشبه التي رد بها بعض الفرق الضالة إثبات صفات الله . قال شيخ الإسلام: (قال نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات وهذا تركيب ممتنع).(٤)

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: "إن أريد بالمركب كونه كان مفترقاً فاجتمع أو ركبه مُركب أو يقبل الانفصال فهذا باطل. وإن عُني به ما يشار إليه أو ما يكون قائم بنفسه موصوف بصفات الكمال فهو حق."(٥)

وقال رحمه الله: "أما القول بأنه سبحانه مركب مؤلف من أجزاء، وأنه يقبل التجزيء والانقسام والانفصال فهذا باطل شرعاً وعقلاً، فإن هذا ينافي كونه صمداً..."(٦).

---

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٤١٥).

٢- المجمل هنا بالمعنى السابق يختلف من المجمل عند الفقهاء كما قال شيخ الإسلام عنه: "المجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وإن كان ظاهر حقاً كما في قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ فهذه ظاهرها ومعناها مفهوم." ٣٩٢/٧. قلت لكن الزكاة تحتاج إلى تفصيل وبيان للأموال التي تجب فيها الزكاة والنصاب وماذا يجب فيه حتى يعمل بها المكلف، وقد بينتها السنة خير بيان.

٣ - التعليق على الطحاوية ص٢٤

٤ - صفحة ٤٠ التدمرية، راجع الفتاوى ٦٦٣/٧.

٥ - بتصرف الفتاوى ١٠٤/٦.

٦ - الفتاوى ٢٩٧/١٧

قال الشيخ بكر أبو زيد: (قول النفاة استواء الله تعالى على عرشه: لو كان فوق عرش لكان مركباً، والمركب لفظ مجمل يراد به ما ركّبه غيره، وما كان متفرقاً فاجتمعت أجزاؤه وما يمكن تفريق بعضه عن بعض، والله تعالى منزه عن هذا التركيب) [٧].

والخلاصة:أن أهل الضلال أرادوا من هذا اللفظ تنفير الناس من إثبات صفات الله مثل اليدين والعينين والساق وغيرها. وهي ثابتة لله سبحانه وتعالى بالنص الواضح، فالمؤمن لا يترك كلام الله لقول أحد أيّاً كان فكيف إذا كان القائل تاركاً للنص محكِّم للعقل، وقد أوضح شيخ الإسلام في التدمرية والفتاوى وابن القيم في الصواعق المرسلة هذه الشبهة والرد عليها.

الأشاعرة وغيرهم من النفاة يرمون أهل السنة بقولهم: (مجسمة حشوية مشبهة) والمقصودهم نفي الصفات والتنفير من إثباتها، ومُثبتيها أهل السنة.

الجسم: إن أريد ما يشار إليه أو يرى أو تقوم به الصفات فالله يشار إليه في الدعاء بالقلوب والعيون، ويُرى عياناً في الآخرة وتقوم به الصفات التي يُوصف بها وتليق به. ويُسأل عنه (بأين) كما في حديث الجارية في الصحيح.وفي البخاريُّ ،: «لا شخصَ أَغْيَرُ من الله».ولمسلم نحوه ، وفيه : «ولا شخصَ أغْيرُ من الله ، ولا شخصَ أحبُّ إليه العُذْرُ مِن الله، من أجل ذلك بعثَ الله المرسَلين مُبَشِّرين ومُنْذِرين ، ولا شخصَ- أَحبُّ إِليه المِدْحةُ من الله، من أَجل ذلك وعدَ الله الجنةَ»،«لا شيء أحب إليه المدح من الله».

وإن أريد أن لله جسم مركب من عظام ولحم ودم مثل المخلوق فهذا باطل.

▪ ***حشوية***: بمعنى أنهم يزعمون أن أهل السنة حشوا الله صفات كثيرة بمعنى الحشو. أو قالوا أن أهل السنة أثبتوا أن لله سبحانه أحشاء، تعالى الله عما يقول الظالمون فالله هو الأحد الصمد الذي قد أثبت لنفسه صفات تليق به.﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ . قال البغوي -رحمه الله- في تفسيره: "قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: (الصمد الذي لا جوف له.) قال الشعبي: (الذي لا يأكل ولا يشرب..)[٨]

▪ ***الأعراض والحوادث***: قالوا إثبات الصفات لله يستلزم قيام الحوادث به وقيام الأعراض به.

---

٧ - معجم المناهي اللفظية صفحة ١٨٦

٨ - للمزيد راجع الفتاوى ٤/١٤٤-١٤٦.

قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "لفظ الأعراض والحوادث: لفظان مجملان، فإن أريد بذلك ما يعقله أهل اللغة من أن الأعراض والحوادث هي الأمراض والآفات أو أن فلان قد أحدث حدثاً عظيماً مثل: (إياكم ومحدثات الأمور) أو فلان به عارض من الجن، فهذه من النقائص التي ينزه الله عنها."[٩].

ثم بيَّن رحمه الله في جملة كلامه أن المتكلمين إذا اصطلحوا على تسمية الصفات أعراضاً لينفوها، ما يخرجها من كون الاتصاف بها كمالاً، والله سبحانه هو أولى بكل كمال.[١٠]

قال ابن أبي العز–رحمه الله– في لفظة: (حلول الحوادث بالرب سبحانه): "فيه إجمال أن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصفاً متجدد لم يكن؛ فهذا نفيٌ صحيح. وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية من أنه لا يفعل ما يريد ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفيٌ باطل."[١١]

▪ ***الحيِّز والجهة والحد***: إن أريد منها أن الله سبحانه وتعالى يحيط به شيءٌ من خلقه أو يحوزه فهذا باطل سواءً العرش أو غيره. وإن أريد منه أن الله بائن من خلقه منفصل عنهم في العلو فوق سماواته فهو حق كما دلت عليه النصوص المتكاثرة. وقد قال الطحاوي –رحمه الله–: (تعالى عن الحدود) قال ابن أبي العز–رحمه الله–: "إن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حداً، وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته."[١٢]. لا سمعه ولا بصره ولا غيرها بل علمها عند الله:﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ .وإنما أراد المخالفون لأهل السنة بنفي الحيز والجهة والحد؛ نفي علو الله وفوقيته على مخلوقاته واستوائه على عرشه.

▪ ***مشبهة***: التشبيه: إن أُريد به أن لله صفات تليق به ولو شابهت صفات المخلوق في الاسم والمعنى المطلق كما سبق بيانه فهذا حق. فللخالق سمع يليق به، وللمخلوق سمع يليق به، فهذا يسمى سمع وهذا يسمى سمع، والخالق يسمع والمخلوق يسمع لكن لا يتماثلان.

---

٩ - بتصرف من الفتاوى

١٠ - راجع الفتاوى٦/٥، ٩٠، ٣١٠

١١ - شرح الطحاوية صفحة ١٢٥.

١٢ - صفحة ٢١٨

وإن أريد به المشابهة من كل وجه فهذا باطل قال ابن أبي العز: "المشبهة كداود الجواربي وأمثاله قالوا: إن لله جسم، وأنه جثة وأعضاء غير ذلك تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً."[١٣]

قال شيخ الإسلام-رحمه الله- في التدمرية: "الصمد الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب وهو منزه عن جميع أعضاء الأكل والشرب. والملائكة لا تأكل ولا تشرب وهي صفة كمال لها فالله من باب أولى. وكذلك الصاحبة والولد وعن آلات ذلك وأسبابه وكذلك ما يستلزم ضعفاً من الحزن والبكاء."

▪ ***الصفة غير الموصوف*** .

إن أريد أن لله صفات أضيفت إليه إضافة صفة لموصوف فهذا حق.وإن أريد أنها منفصلة عنه مخلوقة فهذا باطل وهو قول النفاة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: "قول الجهمية والمعتزلة ونحوهم: القديم لا يتعدد- فهذا لفظ مجمل: فإن القديم إذا أريد به رب العالمين: فرب العالمين إله واحد لا شريك له، وإذا أريد به صفاته، فمن قال إن صفات الرب لا تتعدد فهو يقول: العلم هو القدرة، والقدرة هي الإرادة، والسمع والبصر هو العلم. وقد يقول بعضهم أيضاً: العلم هو الكلام، ويقول آخرون: العلم والقدرة هو الإرادة، ثم يقولون إن الصفة هي الموصوف: فالعلم هو العالم والقدرة هي القادر. وهذه الأقوال صرح بها نفاة الصفات من الفلاسفة والجهمية ونحوهم كما حكيت ألفاظهم في غير هذا الموضع. ومعلوم أن في هذه الأقوال من مخالفة المعقول الصريح والمنقول الصحيح- بل مخالفة المعلوم بالاضطرار للعقلاء. والمعلوم بالاضطرار من دين الإسلام ودين الرسل- ما يبين أنها في غاية الفساد شرعاً وعقلاً."[١٤]

هل الاسم عين المسمى؟ إن أريد أن العلم هو ذات الله مثلاً فهذا باطل يخالف العقل. وإن أريد أنه يدل على ذات الله فهذا حق.

قال ابن أبي العز-رحمه الله-: "إن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق. وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له؛ حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال."[١٥]

[١٣] - شرح الطحاوية ص ٢١٨.

[١٤] - الفتاوى ١٦٨/١٧

[١٥] - شرح الطحاوية ص١/١٣٤

قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "قال الجهمية: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق. وهؤلاء الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء الله من كلامه وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به وهو المسمي لنفسه بما فيه من أسماء."[١٦]

إجراء النصوص على ظاهرها:

أن أريد به إثبات الصفات على حقيقتها كما هو ظاهر النصوص بلا تأويل باطل؛ فهذا حق. وإن أريد به التفويض وأنّا لا نعلم معاني صفات الله فهذا باطل. وقريب من ذلك قول: (هل الظاهر مراد) فيقال فيه كما سبق. وكذلك نقول أن ظاهر النصوص لا يعني التمثيل كما يقول المشبهة.

قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل.."[١٧].

▪ ***التأويل***: إن أريد به تحريف النصوص عن ظاهرها ونقلها من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح فباطل. وإن أريد به معناها الحق وتفسيرها الراجح الواضح من ظاهر النص فحق.

والمخالفون لأهل السنة قد يرموهم بالتأويل المذموم من أجل تبرير تأويلهم المذموم. ومن ذلك أنهم زعموا أن الإمام أحمد أوَّل مجيء سورة البقرة وآل عمران يوم القيامة بمجيء ثواب البقرة وآل عمران في الحديث: (تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان..) والحق أنه تفسيرها كما في سياق الحديث وليس تأويلاً مذموماً. فإنه يُصرف النص عن ظاهره إذا كان هناك قرينة أو دليل شرعي كما في حديث: (استطعمتك فلم تطعمني) وقد سبق في المقدمة.

قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "لما أمر الله بقراءتهما في أول الحديث وذكر مجيئهما يحاجان عن القارئ: عُلم أنه أراد بذلك قراءة القارئ لهما وهو عمله..وليس المقصود أن نفس كلام الله الذي تكلم به، يتصور صورة غمامتين وأعمال العباد مخلوقة وثوابها مخلوق."[١٨]

والعمل معنوي والله سبحانه قادر أن يجعله حسي وهو على كل شيء قدير.

---

[١٦] - الفتاوى ١٨٦/٦.

[١٧] - الفتاوى ١١٣/٥

[١٨] - بتصرف الفتاوى ٣٩٩/٥.

وكذلك زعم أبو حامد الغزالي: أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء:

١. الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبّل يمينه. وقد أبطل العلماء هذا الحديث، وأضافه شيخ الإسلام لابن عباس. والواضح من اللفظ أنها ليست يمين الله حقيقة لأنه قال في الأرض، وقال فكأنما صافح الله أي ليس حقيقةً. وقال شيخ الإسلام: "ومعلوم أن المشبه غير المشبه به. وهذا صريح أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً."[١٩]

٢. حديث (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) رواه مسلم. قال ابن عثيمين: "وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث وقالوا إن لله تعالى أصابع حقيقة نثبتها له كما أثبتها له رسوله ،ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين أصبعين منها أن تكون مماسة لها حتى يقال إن الحديث موهم بالحلول فيجب صرفه عن ظاهره."

٣. حديث (إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "و هؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة وفتحوا الأمصار فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات."[٢٠]

قال ابن عثيمين: "النفس كل شيء يفرج به عن مكروب فيكون معنى الحديث أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن."[٢١]

فدل ما سبق أن أهل السنة لا يصرفون النص عن ظاهره إلا بدليل من الكتاب أو السنة، ولا يقعون في التأويل المذموم كما وقع فيه مخالفوهم.

التسلسل: ومعناه: أنه لا يكون شيء إلا وقبله شيء تَرَتَّبَ عليه، أو لا يكون شيء إلا و بعده شيء ترتب عليه"[٢٢].

قال ابن أبي العز–رحمه الله–: "التسلسل لفظ مجمل لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة. ثم قال فالتسلسل في المؤثرين[٢٣] محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون كل واحد منهم استفاد تأثيره مما قبله لا إلى غاية.

---

١٩ - الفتاوى ٣٩٧/٦

٢٠ - الفتاوى ٣٩٩/٥، ٣٩٧/٦.

٢١ - القواعد المثلى لابن عثيمين صفحة ٥٢.

٢٢ - شرح الطحاوية –صالح آل الشيخ .

٢٣ - أن يكون للحادث فاعل، وللفاعل فاعل وهكذا

والتسلسل الواجب ما دل عليه العقل والشرع، من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيمٌ أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاد له. وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه في طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلما إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت..."[٢٤]

وهذا الكلام منه رحمه الله ردٌ على الجهمية في قولهم أن دوام الحوادث ممتنع وأنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها فيمتنع أن يكون البارئ عز وجل لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته. قال شيخ الإسلام–رحمه الله–: "وحقيقة قولهم أن الله لم يكن قادراً على الفعل في الأزل بل صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً عليه، كان هذا مما أنكر المسلمون على هؤلاء..."[٢٥]

وقال في الرد على المتفلسفة القائلين بقدم العالم: "فإن عمدتهم في (قدم العالم) على أن الرب لم يزل فاعلاً، وأنه يمتنع أن يصير فاعلاً بعد أن لم يكن، وأن يصير الفعل ممكناً له بعد أن لم يكن، وأنه يمتنع أن يصير قادراً بعد أن لم يكن، وهذا وجميع ما احتجوا به إنما يدل على قدم نوع الفعل، لا يدل على قدم شيء من العالم لا فلك ولا غيره."[٢٦]

الخلاصة: أن فعل الله أزلي أبدي لأنه كمال ولا يعطل الله عن الكمال. فهو قبل خلق السماوات والأرض فعالٌ لما يريد وبعد فنائها فهو فعالٌ لما يريد سبحانه. وكل مخلوق حادث أوجده الله من عدم.[٢٧]

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن التسلسل الممتنع هو وجود المتسلسلات في آن واحد، كوجود خالق للخالق، وخالق للخالق، أو للخلق خلق، وللخلق خلق، في آن واحد، وهذا ممتنع من وجوه، منها وجود ما لا يتناهى في آن واحد وهذا ممتنع مطلقاً، ومنها أن كل ما ذكر يكون (محدثاً) لا (ممكناً) وليس فيها موجود بنفسه ينقطع به التسلسل.."[٢٨]

قولهم: لفظ *(جعل)* بمعنى خلق على الإطلاق؛ حتى يثبتوا أن القرآن مخلوق لأن الله قال: ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا** ﴾ والحق أنه يكون بمعنى خلق إذا تعدى إلى مفعول واحد كقول الله تعالى:

---

٢٤ - شرح الطحاوية ص ١٣٠.

٢٥ - الفتاوى٥/٥٤١.

٢٦ - الفتاوى٦/٣٠٠.

٢٧ - للمزيد راجع الفتاوى ١٦/٣٨٠-٣٩١، ٥/٥٣٥.

٢٨ - راجع الفتاوى ١٦/٣٨٦.

﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ وإذا تعدى إلى مفعولين لا يكون بمعنى خلق مثل: ﴿ ئۆ ئۈ ئې ئى ﴾ ، ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [٢٩]

لفظ ***المناسبة***: قال الجهمية ومن وافقهم: إن الله لا يحب أحداً من خلقه بل بعضهم أنكر أن يكون المخلوق محباً لله؛ لأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث، ويجعلون محبة الله نفس إرادته. لا يفرق بين محبة الله ورضاه، وغضبه وسخطه وبين إرادته كقول القدرية والجبرية.

قال شيخ الإسلام: (المناسبة) لفظ مجمل، فإنه قد يراد به التوالد والقرابة فيقال: هذا نسيب فلان ويناسبه، إذا كان بينهم قرابة مستندة إلى الولادة والآدمية، ويراد به المماثلة فيقال هذا يناسب هذا. والله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ويراد بها الموافقة في معنى من المعاني، وضدها المخالفة، و (المناسبة) بهذا الاعتبار ثابتة، فإن أولياء الله يوافقونه فيما يأمر به فيفعلونه، وفيما يحبه فيحبونه والله محسن يحب المحسنين وهي من صفات الكمال فإن مَن يحب صفات الكمال أكمل ممن لا فرق عنده بين صفات النقص والكمال، ولا يحب صفات الكمال.[٣٠]

قال رحمه الله في موضع آخر من الفتاوى: أما قولهم (أنه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وتمتعه بالنظر إليه): فهذا كلام مجمل، فإن أرادوا بالمناسبة أنه ليس بينهما توالد أو مناكحة أو نحو ذلك فهذا حق، وإن أرادوا أنه لا مناسبة بين الخالق والمخلوق توجب أن يكون أحدهما محباً عابداً والآخر معبوداً محبوباً فباطل. وحقيقة قول هؤلاء جحد كون الله معبوداً في الحقيقة لأن المحبة هي رأس العبودية، وطوائف من الصوفية أقروا بكونه محبوباً ومنعوا كونه محباً.[٣١]

وقد أثبت القرآن أن الله يحب عباده ويحبونه، كما قال الله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وقد ثبت بالشرع والعقل أن الإرادة غير المحبة والسخط والرضا، وأن كل هذه الألفاظ تدل على معاني متغايرة.

- من الألفاظ المجملة: (***هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق***) قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: "يقال له: ما تريد (بالإيمان)؟ أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه، كقوله (لا إله إلا الله) و (إيمانه) الذي دل عليه اسمه المؤمن، فهو غير

---

[٢٩] - انظر شرح الطحاوية صفحة ١٧٤.

[٣٠] - الفتاوى مختصراً ٦/١١٤-١١٥.

[٣١] - مختصراً وبتصرف ١٠/٧٤.

مخلوق، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم فالعباد كلهم مخلوقون، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة."[٣٢]

▪ وكذلك يقال في قول: (*لفظي بالقرآن مخلوق*) إن أريد به كلام الله الذي هو صفة من صفاته فباطل، وإن أريد به صوت المخلوق الذي هو صفة من صفاته فحق. وإطلاق اللفظ بلا تفصيل خطأ على كلا الوجهين. قال شيخ الإسلام عن الإمام أحمد-رحمهما الله-: (من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع)."[٣٣]

▪ قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: "(*لفظ الزوال*) و (*الانتقال*) لفظ مجمل." ثم قال: "وهو منزه أن يكون نزوله كنزول المخلوقين وحركتهم، وانتقالهم، وزوالهم مطلقاً، فالمخلوق إذا نزل من علو إلى سفل زال وصفه بالعلو وتبدل وصفه بالسفول، وصار غيره أعلى منه، والرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط، بل هو العلي الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء، وهو في ذلك العلي الأعلى الكبير المتعالي، عليٌّ في دنوه، قريب في علوِّه."[٣٤].

١٢-**ليس للعبد أن يمتحن الناس في عقائدهم مادامت في قلوبهم،** قال النبي ﷺ:« إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ، وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ »[٤]، وإنما ذلك إلى الله: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾[الطارق:٩]، فللمسلم أن يصلي خلف من أظهر الإسلام وحاله مستور. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(ليس من شروط الائتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه،ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد ؟بل يصلي خلف مستور الحال)[٥].

تم بحمد الله وحده

---

٣٢ - الفتاوى ٦٦٤/٧.

٣٣ - الفتاوى ٦٥٥/٧.

٣٤ - الفتاوى ٤٢٤/١٦

(٤) أخرجه البخاري(٤٠٩٤)، ومسلم(١٠٦٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٣٥١/٢٣).

ثبت المراجع والمصادر[1]

١- القرآن الكريم.

٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل-للشيخ محمد ناصر الدين الألباني -ط٢-١٤٠٥هـ- المكتب الإسلامي-بيروت- لبنان.

٣- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت:٧٢٨هـ)، ط١-١٣٩٢هـ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة - مكة المكرمة — السعودية.

٤- تفسير القرآن العظيم- لأبي الفداء إسماعيل بن كثير(٧٧٤هـ)- قدم لهذه الطبعة د.يوسف المرعشلي-ط١-١٤١٢هـ -دار المعرفة- بيروت-لبنان.

٥- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني(ت:٧٢٨هـ)، ط١-١٣٩١هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم؛ دار الكنوز الأدبية- الرياض — السعودية.

٦- الروح- لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)- تحقيق: محمد اسكندر-ط١-١٤٠٢هـ- دار الكتب العلمية-بيروت- لبنان.

٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة- للعلامة الألباني (ت١٤٢٠هـ)-ط٤- ١٤٠٥هـ-المكتب الإسلامي- بيروت- لبنان.

٨- سنن أبي داود-للإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)- تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا-ط١-١٤٢٢هـ- دار المعرفة- بيروت-لبنان.

٩- سنن ابن ماجه بحاشية السندي وزوائد البوصيري (مصباح الزجاجة)- للإمام محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)- تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي- ط١-١٤١٤ه دار الحديث - القاهرة - مصر.

١٠- سنن الترمذي - لأبي عيسى الترمذي(ت٢٧٩ه)- تحقيق وشرح: أحمد بن محمد شاكر-المكتبة التجارية - مكة المكرمة- السعودية.

١١- سنن النسائي - للإمام المحدث أبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي(ت٣٠٣هـ)-بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي(ت٩١١ه)، وحاشية الإمام السندي(ت١١٣٨ه)- ط٢-١٤١٢هـ- دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(١) مرتبة على حروف المعجم.

١٢- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت٤٥٨هـ)- تحقيق: محمد عبدالقادر عطا-ط١-١٤١٤هـ- دار الباز- مكة المكرمة- السعودية.

١٣- صحيح سنن أبي داود- للشيخ الألباني(ت١٤٢٠هـ)- ط١- ١٤١٩هـ - مكتبة المعارف - الرياض - السعودية.

١٤- صحيح سنن ابن ماجه- للشيخ الألباني(ت١٤٢٠هـ)- ط١- ١٤١٧هـ - مكتبة المعارف - الرياض - السعودية.

١٥- صحيح سنن الترمذي- للشيخ الألباني(ت١٤٢٠هـ)- اعتنى به: الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان-ط١-١٤١٩هـ-مكتبة المعارف-الرياض- السعودية.

١٦- صحيح سنن النسائي-للشيخ الألباني-ط١- ١٤١٩هـ - مكتبة المعارف - الرياض - السعودية.

١٧- صحيح مسلم - للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)-تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - دار إحياء التراث العربي -بيروت- لبنان.

١٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للحافظ الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ) - ط١-١٤١١هـ-دار الفكر- بيروت- لبنان.

١٩- مجموع الفتاوى - لشيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ)- جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم-ط١-١٤١٢هـ- دار عالم الكتب- الرياض - السعودية.

٢٠- المسند- للإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ)-شرح وتعليق: الشيخ أحمد شاكر، وأكمله حمزة أحمد الزين-ط١-١٤١٦هـ-دار الحديث- القاهرة-مصر.

٢١- المعجم الكبير- للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)- تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي-ط٢- مصورة.

فهرس محتويات رسالة قواعد ومفاتيح لفهم عقيدة السلف